Editor-in-Chief
Fakhri Karim
Al Mada
General Political daily
2 May. 2010
http://www.almadapaper.com
Email: almada@almadapaper.com
16 صفحة
500 دينار

مكتبة
آخر إصدارات دور النشر العربية والعالمية
بغداد - ساحة التحرير - مدخل شارع السعدون

وسط حضور كبير

(المدى) تستذكر شهيدة الأدب حياة شرارة

كاظم الجماسي

تصوير: سعدالله الخالدي

أقامت (المدى) بيت الثقافة والفنون وسط حضور حاشد ضم عدداً من الأكاديميين والمثقفين والطلبة حفلاً استذكرت فيه حياة شرارة، راية عراقية أصيلة في مجال الإبداع الأدبي والأكاديمي والإنساني، وقدم للحفل الذي أقيم صباح يوم الجمعة ٢٠١٠/٤/٢٩، الشاعر والناقد عبد الخالق كيطان الذي افتتح الحفل بالقول: نحتفي اليوم بعلمٍ من أعلام الثقافة العراقية المعاصرة متمثلاً بالدكتورة حياة شرارة، وبين أيديكم ملحق خاص بها كانت المدى قد أصدرته يوم الخميس ويضم سلسلة من الكتابات التي تعرف بهذه الأديبة اللامعة والمترجمة الحاذقة والأكاديمية العصامية المعروفة. والحديث عن شرارة حديث طويل مبعثه أسئلة شتى تتوارد على الخاطر تثيرها مجريات حياتها الخاصة ونهايتها المأساوية،فهي اللبنانية الأصل عراقية بإمتياز ما يلقي الضوء على أنموذج ناضج في احترام عملية جدل الهويات الدائر منذ ٢٠٠٣ وحتى اليوم في التجربة الديمقراطية العراقية الناشئة/ فضلاً عن كون شرارة أدامت الصلة بالآخر في زمن القطيعة المعرفية المفروضة بفعل الاستبداد، عبر ترجمتها روائع الأدب الروسي وتدريسها اللغة الروسية في الجامعات العراقية. وشرارة من جانب آخر اتخذت، شأنها شأن الكثير من المبدعين العراقيين سلاح الصمت إزاء إرهاب سلطة الاستبداد، الصمت بوصفه احتجاجاً على ترهيب تلك السلطة وتغييبها للآخر مختلف، ولما وجدت ان صمتها لم يعد يجدي نفعاً قررت ان تنهي حياتها بطريقة اعتقدتها صرخة احتجاج عظيمة على قسوة وبؤس العالم الذي كانت تعيش في كنفه، غريبة عنه تماماً، بل ومستهدفة من قبله. اليوم ثلاثة متحدثين أولهم الدكتورة نادية العزاوي فلتتفضل.

حين تتعملق الضحية على جلادها

واعتلت المنصة الدكتورة نادية غازي العزاوي وألقت كلمة جاء فيها:

يعجز الموت عن إطفاء الذوات النبيلة المتجذرة بالمثل والقيم، فأقصى ما يستطيعه إخماد الجسد، لأنه لا يجرؤ على ملامسة جذوة الروح المتقدة فيهم المتسعة بدلالات متجذرة في الضمير. حياة شرارة من هذه الذوات المستعصية على المحو بما اختزنت في داخلها من قوة (النموذج)، مستقلة في تركيبتها النفسية والفكرية وفي مزاجها وأسلوبها في العيش والإبداع، وهي مبررات كافية حتماً لصدامها بالآخر: الآخر المدجن والمستلب والمتقزم، وهي الأنماط المهيمنة على مجتمعاتنا التي تنوء بأمزجة منحرفة لا يروق لها قوة (النموذج) ونبله ونقاؤه، فتسعى بما تملك من سلطة الشر الى تدميره، فعلوا هذا مع سقراط والمتنبي وغاليلو والحلاج وجان دارك ومحمود البريكان... والقائمة طويلة عريضة ضاربة في عمق التاريخ والجغرافية البشرية. إنها مأساة د. حياة شرارة وامثالها في العراق خاصة، (حياة) الانسانة اولاً، والكاتبة والسياسية والناقدة والمترجمة ثانياً وثالثاً... وعاشراً. (حياة) الأستاذة التي كان يحلو لنا- نحن طلبة كلية الآداب بغداد- ان نتأمل وقارها وهي تغذ الخطى بتؤدة واكبار في ممرات الكلية باتجاه مكتبة الدراسات العاليا، لتكمل مشروع بحث جديد أو قصة ناقصة، نقرؤها لاحقاً في مجلة (الأقلام)،أو الموسوعة الصغيرة، او في كتاب مطبوع في العراق او بيروت. كانت اكبر من الدسائس والمكائد المحيطة بها، والعيون والأذان المتلصصة عليها. ليس بأمكان كل موت الأرض ان ينتزع من أعماقها والى الأبد هذه الصورة المهيبة، والصلابة العلمية المسؤولة التي عرفت بها في الوسط الأكاديمي، والمثابرة البحثية التي مكنتها من رفد المكتبة العراقية والعربية بدراسات ومقالات جادة وقيمة على الرغم من عوامل القهر التي أطبقت على حياتها الشخصية في العقود الأخيرة، مترفعة عن مواقف ملتبسة بالنفاق والدجل والتسيب انزلقت إليها وارتضتها نفوس ميتة. تصدر في هذا كله عن منظور تقدمي واضح لا تنطلي عليه المساومات الرخيصة وأشباه المواقف والحالات. (حياة شرارة) المبدعة التي يحق للحركة النسوية العراقية ان تزهو بها مع صف من المثقفات العراقيات الحقيقيات اللواتي صقلن تجاربهن الابداعية والوطنية ضروب من النضال المرير، وتاريخ طويل من البذل والتضحيات النفسية، مثقفات حقيقيات لم يصلن بالتزييف او الفبركات الإعلامية او الصفقات المشبوهة، صنعن اسماءهن وتاريخهن بما قدمن من منجز رصين معزز بانتماء وطني مخلص نزيه. موتها او تصفيتها- لا يهم التوصيف- لن ينسينا مطلقاً دورها الثقافي البارز وهي تكتب او تكشف عن صفحات من اغتراب المتنبي ونازك الملائكة ومحمود شرارة والسياب ومايكوفسكي وتولستوي ويسنين..الخ

أنموذج المثقف المهذب

ثم دعا مقدم الحفل الشاعر ياسين طه حافظ لإلقاء كلمته وقد جاء فيها:

الحقيقة ان لدي ما يشغلني اليوم غير انني شعرت ان لم احضر هذه الاستذكارية سأكون مقصراً، واذا لم أتكلم فيها سأكون مقصراً أكثر، ان الوصف الذي يليق بالدكتورة حياة شرارة انها أديبة محترمة، وهي انموذج للمثقف المهذب الذي لا يسمح لأي شائبة ان تمس نقاءه. ليس غريباً على (حياتنا) ان تكون مهذبة الى هذا الحد من النقاء. فهي سليلة أسرة محترمة، وهي تتمتع بثقافة رصينة راسخة كونها تحمل افكاراً إنسانية عميقة. لم اسمعها يوماً انها مست احداً بأذى، واستطيع ان أقول لكم انها ليست لا تعرف ان تؤذي بل انها لا تعرف الأذى بالمرة، إنها تعرف الزهد، حتى عندما تتحدث عن المترجمين عبر لغة وسيطة للأعمال الروسية، ما كانت تمس احداً منهم بسوء، علماً ان من يترجم عن اللغة الاصل حتماً ستكون له ملاحظات عن المترجم عبر لغة وسيطة، لكنها تجد العذر لهم دائماً.. كانت تمر بي ايام عملي في مجلة(الثقافة الاجنبية) وكانت الدائرة تقع في شارع الجمهورية، وكانت آنذاك تتابع طبع كتابها(مذكرات صياد)، وكنا نتحدث عن مادة دفعتها الى النشر في المجلة، او عن الترجمة او الادب بنحو عام، وكانت تتمتع بغلالة من الجلال والهيبة والشخصية التي تجعل نظرك خفيضاً، وتجعلك تختار الكلمات بدقة كي لا تخدش هذا الصفاء الإنساني. سوف ابلغ قريباً الخامسة والسبعين من العمر، الامر الذي يجعلني ارشح كتاب مذكرات صياد الذي كانت شرارة تتابع طبعه ارشحه للقراءة لكل مثقف، فهو يرسم مجموعة من العلاقات بين الانسان والطبيعة والإنسان وأخيه الانسان، وهو من الكتب المهمة جداً، وفضلاً عن ذلك فهو يرسم لوحات تعبيرية في غاية الدقة. وانا تعلمت حقيقة من هذا الكتاب ومن حياة شرارة درساً اخلاقياً يتمثل في إننا ينبغي ان ننظر الى الجوانب المضيئة الخيرة من شخصية الآخر، وهي كثيرة عند ناسنا وأهلنا.

إذا الأيام أغسقت

أعقب ذلك كلمة ألقاها الناقد عبد الهادي فنجان وجاء فيها: ساقتني الأوامر الإدارية للعمل في لجنة المفصولين السياسيين وقد مررنا بمفارقات مؤلمة كثيرة، في احدها طلبنا من احد المفصولين السياسيين ان يثبت لنا بأنه مفصول سياسي من خلال الاوامر الادارية التي تثبت طرده او فصله او احالته على التقاعد. قال بأن النظام السابق لم يكن يفصل الموظف ولكنه كان يوصله الى درجة الكفر بالوظيفة فيتركها لكي يتخلص من موسوعة التعذيب اليومي. ذكرني ذلك بمحاورة تلفزيونية جرت بيني وبين احد الادباء الذي اصر على ان النظام السابق هو الذي اغتال الاديبة الدكتورة حياة شرارة، اما انا فقد قدمت الادلة الملموسة. بأنها انتحرت من خلال شهود حضروا كل الوقائع السابقة واللاحقة لانتحارها وما بعد ذلك من التحقيقات التي جرت، وبالرغم من كل ذلك فقد ايدت رأي ذلك الاديب بان الانتحار كان عملية اغتيال غير مباشرة دفعها النظام اليها. وتظهر الحقائق من خلال مقدمة اختها الاستاذة بلقيس شرارة الرواية" اذا الايام اغسقت" التي استغرقت سبعين صفحة تكاد توازي جمالية الرواية او قد تكون مكملة لها من حيث المعايشة واقتسام الالآم والمعاناة. وقد أثبتت الأستاذة بلقيس في مقدمتها الواقائع التي تشير الى انتحار الدكتورة حياة هي وابنتها، ولكن متابعة الحياة التي عاشتها قبل الحادثة تخرج الانسان من جلده ليهرب بعيداً ولكن في بلد مثل العراق وفي ظروف مثل ظروفه حيث ليس هناك طريق للهروب، فلن يبقى غير الانتحار المشرف الذي وضعها النظام السابق فيه والذي يؤدي في النتيجة الى اعتباره عملية اغتيال جماعية مرسومة لكل الطيبين حيث قطع سبل العيش الكريم ودفعها الى الاستقالة ومنع كتاباتها من النشر ومنعها من السفر اضافة الى ظروف الحصار الداخلي القاسي ولم يبق غير أنبوبة الهواء التي تجعل الانسان يتنفس فقط، فاقدمت على قطع هذه الانبوبة لتخلد في ذاكرة الطيبين ولتفارق الشوارب والزيتوني والشعارات التي سقطت دفعة واحدة في الليلة التي تلت الثامن من نيسان وسبقت التاسع منه من سنة ثلاثة من بعد الالفية الثانية.

ثم اضاف الناقد فنجان قائلاً: كان كره رجال العهد البائد للاساتذة الافذاذ هو كره الجهلاء للعلماء.وقد كتبت عرضاً وتحليلاً لكتاب الدكتورة حياة شرارة" فن الترجمة" وعندما اطلع عليه بعض الاصدقاء من الكتاب والادباء الشرفاء طلبوا مني ان اكتب عن حياتها بعض الشيء لكي يعرفها الجيل الجديد ولكي نرفع الغبار الذي ذره جهال العهد البائد على اسمها واعمالها الرائعة. لقد ساقني ذلك الى الجامعة . فالتقيت بالدكتور المبدع ضياء نافع عميد كلية اللغات الذي ما ان سالته عن الدكتورة حياة حتى انبسطت اساريره وابتسم ابتسامة يشوبها الالم وانهالت الذكريات الجميلة حتى لقد نسينا ان الوقت كان ملكاً للكلية والطلاب وليس ملكنا ولكن عزاءنا الوحيد هو كلمة وفاء لتلكم العبقرية الفذة عبقرية الدكتورة وهذه المعلومات المدرجة هنا أثرانا بها الدكتور ضياء نافع.." والد الدكتورة حياة هو محمد شرارة، لبناني الأصل. وقد أكملت جامعة موسكو، دكتوراه تاريخ، قسم الأدب الروسي في القرن التاسع عشر. لقد كانت أطروحتها عن روايات تولستوي وقد نشرت هذه الاطروحة في بغداد عند عودتها تحت عنوان(تولستوي فنانا) وهو اول كتاب لها وقد طبع في بيروت لاهميته ويعد الان واحداً من ابرز المصادر العربية في الادب الروسي.

توهجات

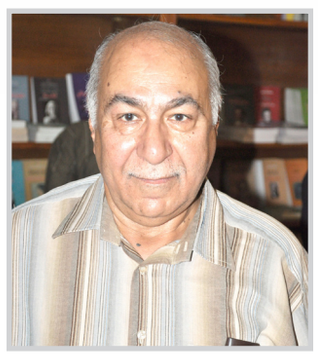

إنها أحد رموز الإبداع

لا أريد أن ألون متعسفاً لأوجه اتهامي لجيل أو أجيال من المثقفين، ربما لم يطلعوا على منجز حياة شرارة الثقافي أو تناسوا كما تناسى الوسط الأكاديمي أحد رموز الإبداع العراقي في مرحلة مهمة من التاريخ، لذا فإن مبادرة (المدى) في تسليط الضوء على مسيرة هذه المبدعة بكل ما تحمله من مضامين إنسانية وتراجيدية تأتي رداً على هذا الصمت واللامبالاة الذي رفضته شرارة بكل شجاعة وجرأة لتصنع حداً لكل أنواع الزيف والقهر والغربة.

عن انتماء حياة شرارة الإنساني والأسري والثقافي يدعو الباحثون والدارسون الى التوقف عندها وكشف أبعادها كإضافة غنية لثقافة العراق.

جمال العتابي

من أسرة أدبية

لا تزل مؤسسة (المدى) تفاجئ الوسط الفكري بإحياء ذكرى الأسماء اللامعة في تاريخنا الحديث، ولعل نهج (المدى) في ذلك ينبع من الإيمان العميق بأن التغيير الكبير الذي يمر به العراق لا ينبغي أن يكون سياسياً غيبياً فحسب، بل إن الحراك الثقافي على الرغم من المعوقات والتحديات هو في طليعة ما يجب أن نحياه، غير إن المفاجأة الأخاذة هي في الأسماء الحاضرة الغائبة التي دأبت (المدى) على إحياء ذكراها، وها هي اليوم تفاجئنا بـ (حياة شرارة) الأديبة والمترجمة القديرة بملحق (عراقيون) ذي القيمة التاريخية والأخلاقية الكبيرة، أو جلسة استذكارية في (بيت المدى).. شرارة التي عاشت بداية في أسرة أدبية علمية ونهاية مروعة (!)، غير إن أيامها التي وصفتها بالغاسقة تستعاد أسماً وإبداعاً.

رفعت عبد الرزاق محمد

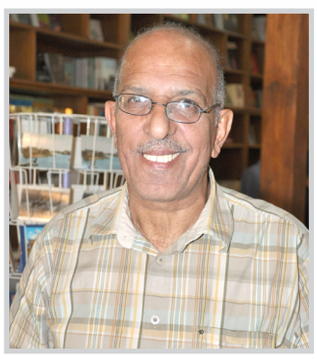

شخصية استثنائية

شخصية لامعة وعلامة كبيرة في الأدب والثقافة العراقية ولعلني لا أغالي ان قلت عن حياة شرارة شخصية استثنائية، فهي إنسانة عظيمة جمعت شخصيتها جوانب عدة كانت مبدعة في كل الميادين التي عملت فيها، لعل في مقدمتها الترجمات الرائعة للأدب الروسي الكلاسيكي والحديث، إضافة الى دراساتها النقدية الرائعة وكتب السيرة ومقالاتها وقصصها ومذكراتها وأشعارها، أنها شعلة مضيئة حقاً قلما يجود زمن المرأة العراقية بأمثالها، وفضلاً عن كل ذلك فهي أكاديمية بارزة كانت تدرس الأدب والترجمة لعدة أعوام في جامعة بغداد، وتخرج على يديها العديد من الأساتذة.

كاظم حسوني

روايتها أدانت الدولة القمعية

في الغربة ودهاليزها التي أصبحت وطناً جديداً نرسم عليه ذكريات علها تطفئ شوقاً يسورنا حنيناً له تعرفت عليها من خلال أيقونتها وإذا الأيام أغسقت، كان وثيقة تدين سلوك دولة بأجهزتها القمعية تجاه مواطنيها وخاصة النخبة، فحياة أساتذة الجامعة القاسية كانت محور روايتها، نافذة عريضة أطللنا خلالها نحو مفردات الحياة اليومية لهذه النخبة التي عاشت قسوتها وسحبتنا دخل يومياتهم بكل أسى ستظل شامخة في تاريخ نضال الأدب ضد الطغيان الذي سيرحل وتبقى أيامها مضيئة.

سليم الشيخلي

أنها مثل نخيل البصرة

أنه احتفاء برمز أدبي وثقافي كبير، حيث يعد الاحتفاء بمبدعينا وفنانينا تقليداً إبداعياً راقياً دأبت عليه الأمم والشعوب المتحضرة، وبما أننا شعب ينتج ويقرأ ويكتب، وبما أننا شعب شاعر من أمة شاعرة، فجدير بنا كمثقفين أن نحتفي بقامات الأدب العراقي الطوال الشامخة مثل نخيل البصرة وجبال السليمانية.

رباح نوري

مترجمة رائعة

حياة عصيبة تلك التي عصفت بذلك الجسد الهش المدعو حياة شرارة، كانت مترجمة رائعة وكاتبة جديرة بالاهتمام، المأساة التي مرت على العراقيين دمرتها وفتحت لها على العالم باباً هو عالم الحلم اللامتناهي الذي لا يجرح ولا يثقل على الروح.. تلك هي حياة شرارة ريشة خفيفة مرت في هذا العالم.

حسين علي يونس